خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٣- ٥ -٢٠٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

في الخطبة الماضية شرحتُ معنى كلمة "الجبّار" حين يوصف بها الله تعالى وحين يوصف بها الإنسان، وبينتُ أنها إذا جاءت صفةً لله تعالى فمعناهـــا المـــصلح. ولهذا السبب علَّمنا رسول الله ﷺ الدعاء الذي يدعو به كـــل مـــسلم بـــين

السجدتين في صلاته، حيث ورد في حديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ... "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي وَارْفَعْنِي". (ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقول بين السجدتين).. أي إلهي، اغفِرْ لي، وأَغِثْني برحمتك، وأَصْلِحْ شؤوني وأحوالي، وارزقْني، وارفَعْ درجاتي. فاجْبُرْني يعني: أصلِحْ جميع أحوالي الروحانية والمادية وحسِّنْ أوضاعي على الدوام.

ولا شك أن رسول الله ﷺ علّمَنا هذا الدعاء لكي نتوسل إلى الله تعالى بهذه الصفة لإصلاح شؤوننا، ونسعى كيلا ينطبق علينا المعنى الآخر لهذه الكلمة؛ أي الإنسان الغافل عن الله تعالى، المتجاوز عن حدوده، والقاسي الطاغي المتمرد؛ وهذا المعنى ينطبق على معارضي أنبياء الله تعالى خاصة.

والآن أقرأ على مسامعكم بعض إلهامات المسيح الموعود عليه السلام وبعض كتاباته. فقد جاء في أحد إلهاماته عليه السلام:

"تُوبوا وأصلِحوا وإلى الله توجَّهوا."

وقد شرح حضرته عليه السلام بنفسه هذه الجملة العربية كالتالي:

توبوا، وتَخلَّوا عن الفسق والفجور والكفر والمعصية، وأصلِحوا أحوالكم، وتوجهوا إلى الله تعالى. (التذكرة، ص ٦٣ الطبعة الرابعة)

وهذا الوحي قد تلقاه المسيح الموعود عليه السلام في عام ١٨٨٣م، أي قبل أن يبدأ بأخذ البيعة من الناس بحوالي ست سنوات. إن هذا الوحي يرسم لنا حالة ذلك الزمن أيضا، إذ جاء فيه: تَوجهوا إلى الله من أجل إصلاح أنفسكم؛ إذ كان الذين يحبون الدين عندئذ قلقين ومضطربين إزاء الحالة التعيسة المتردية

للإسلام، فكأن الله تعالى قد بلّغهم رسالتَه بواسطة "جَرِيِّ الله في حلل الأنبياء" المسيحِ الموعود عليه السلام الذي كان سيرسله لإصلاح الزمن، أن يتوجّهوا إلى الله مخلصين له الدين، فقد فارت رحمة الله تعالى، وأن المصلح والمسيح والمهدي الموعود بمجيئه على وشك الإعلان عن بعثته، فلا تكفُروا به عند ظهوره. واليوم أيضا يبدي المسلمون قلقهم واضطرابهم على حالة إخوانهم، وعليهم أن ينتبهوا إلى ما ورد في هذا الوحي ويخلصوا دينهم لله تعالى، ليرشدهم إلى طريق الصواب. فإن مجرد إبداء القلق والاضطراب على حالة المسلمين وعلى ما يقع عليهم من زلازل وآفات سماوية لن يجديهم نفعًا إذا لم يغيّروا حالتهم عمليًا، لأن الله تعالى قد أخبر المسيحَ الموعود عليه السلام قائلا: "الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا أُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ." (التذكرة، ص ١٥٠- ١٥١ الطبعة الرابعة).

يجب على المعارضين التفكّر في هذا الأمر؛ فإنه وعْد من الله تعالى، ولا أحد يقدر على أن يحارب الله، وإن تاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية وازدهارها وتقدُّمها ينبغي أن يكون دليلا كافيا لهؤلاء المخالفين المعارضين. ندعو الله تعالى أن يفتح عيونهم ويوفق كل فرد من الأمة المحمدية لنصرة وتعزيز هذا المسيح والمهدي لكي يتغمده الله تعالى برداء مغفرته ورحمته، فيصلحوا دنياهم وعقباهم.

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قلقًا جدًا على حالة الأمة الإسلامية حتى أخذ يدعو لها بهذا الدعاء على الدوام، ولم يبق لحياته غاية إلا ترسيخ عظمة النبي ﷺ في القلوب، ولهذا علّمه الله تعالى بالوحي دعاء: "رَبِّ أَصْلِحْ أُمَّةَ

مُحَمَّدٍ." (التذكرة، ص ٣٧ الطبعة الرابعة). ومن المؤكد أن الله تعالى لم يعلّمه هذا الدعاء إلا ليقبله. ونحن بإذن الله لسنا يائسين أبدًا، بل نرجو أن تنضم الأمة المحمدية بأسرها أو أغلبيتها إلى جماعة المسيح المحمدي وتجتمع تحت رايته. والأمارات تدل على أن الوقت قريب، بل يكاد هذا الأمر يتحقق في القريب العاجل بإذن الله تعالى. لكن على العلماء والقادة الذين يُضلّون العامة أن يدركوا أنهم إذا لم يصلحوا حالتهم فسوف يتعرضون لبطش الله. فمن ناحية يقولون إن الزمن ينتظر ظهور المسيح بل يبدون قلقهم على تأخر ظهوره، ومن ناحية أخرى لا يقبلون الذي أعلن أنه هو المسيح الموعود، بل يُضلّون الآخرين ويُغووونهم ويخوّفونهم حتى لا يقبلوه. فمثلاً إن الدكتور "أسرار أحمد" وهو شيخ كبير في باكستان والذي تمادى في معارضة جماعتنا، كتب في مقال يقول:

"إن الأساس الحقيقي والمحكم يقوم على تاريخ القرون الأربعة الماضية، وهذا التاريخ شاهد على أن جُلّ عملِ تجديد الدين في هذه القرون إنما تمّ في القارة الهندية فحسب، فكلُّ المجددين العظام الذين ظهروا في هذه الحقبة إنما ظهروا في هذه البقعة، مما يدل على أن الله تعالى قد وضع بمشيئته وحكمته خطةً طويلة المدى مرتبطة بهذه المنطقة. (باكستان كا مستقبل، جريدة "نواء وقت" عدد ١٦-٧-١٩٩٣)

فبرغم أن الدكتور لم يصرح في كلامه، إلا أن الواضح من بيانه أنه يرى أماراتِ بعثةِ خاتَمِ الخلفاء أي المسيحِ الموعود عليه السلام في هذه البقعة من الأرض. ومع ذلك لم ينتبه هؤلاء إلى أن شخصًا قد ادّعى بحسب مشيئة الله تعالى، وقد

ظهرت الآيات من السماء والأرض تأييدا له، فلماذا يخالفونه مغمضين عيونهم عن الحقيقة؟ الحق أن الأهواء المادية قد حجبت عيونهم، وصاروا من الذين لم ينفعهم عِلمهم بل صار هباءً مُنبثًّا. إنهم يُعتبرون علماء في الظاهر، ولكنهم لا يفهمون ما يلمح إليه قدر الله تعالى، بل يصرون على الإنكار بعد رؤية الآيات. الحق أنهم لا يريدون أن يزيلوا الحجب عن عيونهم، فأصبحوا صُمًّا وبُكْمًا وعُمْيًا. لقد وهبهم الله تعالى نور العلم في الظاهر، ولكن علمهم هذا قد جعلهم شرَّ مَن تحتَ أديمِ السماء بدلاً من أن يهبهم نورا، كما ورد في الحديث في وصف بعض العلماء في الزمن الأخير، وليس ذلك إلا نتيجة معارضتهم لسيدنا أحمد عليه السلام.

فإذا كانت قلوبهم صافية ويتألمون لحالة الأمة المسلمة فعلا، فعليهم أن يدعو الله تعالى لإصلاحهم ويسترشدوه سبحانه وتعالى مخلصين، وإلا فسيظلون تائهين كما هم، ويُضلُّون أتباعهم أيضا، ولن يأتي أي مسيح لإنقاذهم من المحن والمصائب. ندعو الله تعالى أن يصلح حال الأمة ويوفقهم ليميزوا الخبيث من الطيب. وكما قلتُ من قبل إن تأييدات الله هي مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بصورة واضحة، وهذا ما قد أخبره الله تعالى منذ البداية، وبشّره بالفتح والظفر مرارا كثيرة.

قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن رؤياه وإلهامه الذي تلقاه في عام ١٨٩٨م: "رأيت في الرؤيا أولاً كأن شخصًا يقول لي: إن اسمي الفتح والظفر، ثم بعد ذلك جرت على لساني الكلمات التالية: "أَصْلَحَ اللهُ أمْرِيْ كُلَّه". (التذكرة، ص ٢٠٢، الطبعة الرابعة)

إن إعلانه عليه السلام بأن الله تعالى قد بشّره بالفتح والانتصار، ثم المعاملةَ الإلهية مع جماعته حتى مئة عام من وفاته أيضًا، إذ إن جماعته لا تزال تتقدم باستمرار.. ألا يدل هذا كله دلالةً كافية على أنه عليه السلام هو المرسل الصادق من الله تعالى في هذا الزمن؟ ندعو الله تعالى أن يفتح عيون الناس حتى يقبلوا الحق دون تأخير بدلاً من أن يدعوا لأنفسهم هلاكا وثبورا.

لقد تلقى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلهاما نصه: "أصلِحْ بيني وبين إخوتي". وقال عليه السلام في شرحه:

"... يبدو أن هذا الإلهام تكملة للإلهامات التي أخبر الله فيها عن عاقبة المعارضين المذكورين في الوحي القائل: خَرُّوا على الأَذْقَان سُجَّدًا. ربَّنا اغْفِرْ لَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. تَاللَّه لَقَدْ آَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ. لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ."

ثم قال في شرح هذا الوحي: "أي تكون عاقبة بعض الأعداء الألداء أنهم سيخرّون ساجدين لله تعالى بعد رؤية بعض الآيات ويقولون: ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين. ثم يخاطبونني قائلين: تالله لقد آثرَك اللهُ علينا وإنْ كنا في معارضتنا لخاطئين. فيقال لهم: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. ويحدث هذا حين تظهر آيات عظيمة حيث تنشرح قلوب ذوي الفطرة الطيبة في آخر الأمر، فيقولون في أنفسهم: هل يمكن لأي مسيح صادق أن يُري الآيات أكثر من هذه، أو يتلقى نصرة وتأييدا أكثر من ذلك؟ عندها ينالون قوة من الغيب لقبول الحق فيقبلونه." (التذكرة ص ٦٠٥ الطبعة الرابعة طبعة ربوة)

ندعو الله تعالى أن يوفق الجميع لمعرفة صدق سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قبل ظهور الآيات القاهرة، فيكونوا من الذين يقبلون الحق والصدق.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (سورة إبراهيم: ١٦)

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح هذه الآية:

"إن من سنة الله تعالى أن يتعرض المأمورون من عنده للمضايقة والإيذاء، ويواجهوا محنة بعد أخرى، ولكن ليس ليُهلَكوا بل ليجذِبوا نصر الله، ولأجل ذلك كانت الفترة المكية من حياة النبي ﷺ أطولَ بالمقارنة مع الفترة المدَنية، إذ قضى في مكة ثلاثَ عشْرةَ سنة وفي المدينة عَشرَ سنوات. وكل نبي وكل مأمور من الله يلقى المعاملة نفسها كما هو واضح من هذه الآية، فيتلقى الأذى في بداية أمره، ويوصف بأنه مكار، وخداع، وعميل وما إلى ذلك، فما من اسم سيئ إلا ويُنادى به. ولكن الأنبياء والمأمورين من الله يصبرون على كل شيء ويتحملون كل أذى، وعندما يبلغ السيلُ الزُبى تظهر القوة الإلهية الثانية شفقةً على البشر. فهكذا أوذي رسول الله ﷺ بكل نوع الإيذاء وسُمي بكل اسم سيئ، وفي النهاية اشتد ابتهاله ودعاؤه على الأشرار حتى بلغ ذروته كما وهو واضح من قوله تعالى: ﴿استفتحوا﴾، وكانت النتيجة أن ﴿خاب كل جبار عنيد﴾. وهذا الابتهال والدعاء يتم عندما يبلغ شر المعارضين منتهاه لأنه لو تم مثل هذا الدعاء في بداية الدعوة لهلكوا جميعا. فحياته ﷺ المكية مليئة بالتضرع والابتهال في حضرة الله حتى إن كل مَن رآه ﷺ في هذه الحالة أصيب برعدة شديدة. ولكن انظروا إلى الجلال في حياته في المدينة، حيث

هلك كل أولئك الذين كانوا عاكفين على إيذائه ونسج المكائد لقتله وإخراجه من الوطن. ومن نجا منهم من الهلاك فقد اضطر للاعتراف بأخطائه وطلبِ العفو منه ﷺ في غاية الذل والهوان. (الملفوظات ج ١ ص ٤٢٤، الطبعة الحديثة بربوة)

ندعو الله تعالى أن يرحم الأمة المسلمة، فإن أغلبيتها لا يريدون أن ينضموا إلى زمرة المظلومين رغم رؤية تاريخهم، بل يريدون أن يكونوا من زمرة الظالمين باقترافهم الظلم، كما لا يكادون يعرفون إمام زمانهم. لقد ضرب المسيح الموعود عليه السلام هذا المثل ليبين أن الحالة نفسها سائدة في هذه الأيام أيضا، فأما المسلمون فلا يكادون يؤمنون بالمسيح الموعود عليه السلام، وأما غير المسلمين فيرتكبون الفظائع ضد سيدنا رسول الله ﷺ. وكل هذه التصرفات تدفع بالأقوام والأديان كلها إلى الهلاك إذا لم يميلوا إلى الإصلاح.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "يعلم الله أنني أقول هذا القول من منطلق الشفقة والرحمة، سواء سمع أحد كلامي بسوء الظن أو بحسن الظن، وهو أن الذي يريد أن يكون مصلحا فعليه أن ينوّر نفسه ويصلحها أولاً. انظروا إلى الشمس المنيرة فإنها قد حازت النور بنفسها أولاً. إنني واثق كل الثقة أن معلِّم كل أمة قد علّمها التعليمَ نفسه، ولكننا نرى في هذه الأيام أن الناس قد مالوا إلى أمر سهل أي ضرب الآخرين بالعصا، ولكن من الصعب أن يقدم أحد التضحيةَ بنفسه. فالذي يريد أن يصلح القوم ويكون ناصحا له فليبدأ بإصلاح نفسه أولاً. لماذا كان الرهبان والنساك في قديم الزمان يتوجهون إلى الفلوات والبراري من أجل إصلاح أنفسهم؟ إنهم لم يكونوا يقولون

للآخرين شيئًا ما لم يعملوا به بأنفسهم وذلك خلاف ما يفعله الوعّاظ والمرشدون في هذه الأيام. هذا هو السبيل المؤدي إلى القرب من الله تعالى وحبه. إن مَن ليس في قلبه شيء من الصدق فوعظُه ليس إلا كماء نازل من الميزاب يؤدي إلى خصومات (بين الجيران). أما الذي يعظ وقلبه مليء بالنور والمعرفة والعمل فمَثَلُه كمَثَل المطر الذي هو رحمة."

ثم يقول حضرته: "فاعملوا بحسب نصيحتي هذه. فأنى لمن تناول السم بنفسه أن يعالج المسمومين؟ كلا، بل إذا حاول ذلك هلك وأهلك الآخرين أيضا، لأن السم قد أثَّر فيه مسبقا. وبما أن قواه العقلية لم تعدْ على يرام فإن علاجه سيكون مضرًّا بدلاً من أن يكون مفيدا. باختصار، إن الفُرقة التي نراها متفاقمة إنما سببها قوم لم يتعلموا إلا أن يسلّطوا ألسنتهم الحِداد على الآخرين".

ثم يقول عليه السلام: "هذا هو الطريق الأفضل للتطهر في رأيي. ليس هناك طريق أفضل مِن أن يتخلى المرء عن التكبر والتفاخر بكل أنواعه، سواء بعلمه أو بعائلته أو بماله. عندما يهب الله تعالى لأحد عينا مبصرة يدرك أن كل نور ينجي من الظلمات إنما يأتي من السماء. والواقع أن الإنسان بحاجة إلى نور سماوي في كل حين، إذ إن العين أيضا لا تقدر على الرؤية ما لم ينـــزل نور من السماء، وبالمثل إن النور الروحاني الذي يزيل كافة الظلمات ويولّد مكانها نور التقوى والطهارة، إنما يأتي من السماء فقط. الحق والحق أقول إن تقوى الإنسان وإيمانه وعبادته وطهارته كلها تأتي من السماء. وهذا يتوقف على فضل الله تعالى وحده، فإذا شاء ثبَّتها في الإنسان، وإذا شاء أزالها. فالمعرفة

الحقيقية هي أن يعتبر الإنسان نفسه مسلوب القوى، بل لا يعتبر نفسه شيئا يُذكَر، ويخرّ على أعتاب الله تعالى ويسأله فضله بمنتهى التواضع والتذلل، ويطلب نور المعرفة الذي يحرق أهواء النفس، ويشحنه بضياء وقوة ولوعة لفعل الحسنات. ثم إذا حظي هذا الإنسان بشيء من فضله تعالى ومن انشراح الصدر وطمأنينة القلب فعليه ألا يغترّ ويفتخر بذلك، بل يزداد تواضعا وتذللاً، لأنه كلما اعتبر نفسه صفرًا نزلت عليه أنوار الله التي تهبه نورا وقوة. فلو تمسّك الإنسان بهذا المبدأ لكان من المرجو أن تتحسن حالته الأخلاقية بفضل الله تعالى. إن اعتداد المرء بنفسه كبرٌ، وصاحبه يبدأ بلعن الآخرين واحتقارهم."

وهذه هي حالة العلماء في الزمن الراهن.

إذن فلا بد لأجل إصلاح النفس أن يسلك المرء المسالك التي بيّنها الله لنا. وعلى الجميع أن يسعوا لإصلاح أنفسهم بتواضع وتذلل، أما إذا اعتمد أحد على قوته الشخصية وافتخر بعلمه فيُعتبر هو وأمثاله من الجبابرة المتمردين، ولن يُعتبروا من الذين تمكنوا من إصلاح أنفسهم، ولن يقدروا على الانتفاع من صفات الله تعالى الحسنى.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن السبيل الأفضل والأكثر فائدة هو ما يسلكه الإنسان بإذن الله تعالى وتوجيهه. لو كان إصلاح الأمم الفاسدة ممكنًا بمقترحات وتدابير فارغة مِن قِبل كل من هبّ ودبّ لما كانت هناك حاجة إلى بعثة الأنبياء. الواقع أنه ما لم يُشخَّص المرض تشخيصا كاملا، ولم يتم الاطلاع على علاجه المجدي بكل

حيطة وثقة، فلا ينفع العلاج أبدًا. إن الحالة المتردية التي وصل إليها الإسلام في هذه الأيام إنما هي بسبب مثل هؤلاء الأطباء الذين لم يشخّصوا المرض وبدأوا بالعلاج الذي خطر ببالهم نظرًا إلى مصالحهم الشخصية. اعلموا أنهم لا يعرفون المرض ولا العلاج أبدًا. ولا يقدر على تشخيص هذا المرض إلا من أرسله الله لهذا الغرض، وهو أنا."

ثم يقول حضرته: "تذكّروا جيدا أن إصلاح القلوب في يد خالقها، ولا تقدر الكلماتُ الفارغةُ والأقوالُ المعسولةُ على الإصلاحِ قط، بل لا بد أن تكون في هذه الكلمات روح. فمن قرأ القرآن الكريم و لم يدرك أن الهداية إنما تأتي من السماء فإنه لم يفهم منه لفظًا، وسيندم هؤلاء عندما يُسألون: ﴿ألم يأتكم نذير﴾. الحق ما قيل في مثل فارسي وهو: يجب أن نعرف الله من خلال هديه تعالى. وهذا لا يمكن إلا بواسطة الإمام، لأنه يكون مَظهَرًا لآيات الله المتجددة، ومهبطًا لتجلياته. ولذلك ورد في الحديث الشريف: "مَن لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية".

ندعو الله تعالى أن يوفق الناس جميعا لمعرفة هذا الإمام حتى لا يقعوا تحت طائلة إنذار الله تعالى. هناك كثير من المسلمين من غير جماعتنا يسمعون هذه الخطب ويبعثون إلي الرسائل، منهم من يتأثرون بها كثيرا، ولكن لا يستطيعون أن يقبلوا الحق خوفا من المجتمع، وهناك كثير آخرون يوفقهم الله للانضمام إلى الجماعة إثر مشاهدتهم برامجنا على قناتنا الفضائية. إني أنصح هؤلاء الخائفين ألا يخافوا الناس، بل يلبوا دعوة الحق، ويصغوا لنداء الله تعالى الذي يصلهم بواسطة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

كما ندعو الله تعالى أن يوفقنا نحن المسلمين الأحمديين الذين نعلن أننا آمنّا بإمام هذا الزمان أن نحاول إصلاح أنفسنا كما ينبغي، فنخضع لله تعالى متواضعين متذللين، ونستفيد من النور الذي ستظل به قلوبنا منوَّرة بإذن الله دائمًا، آمين.